

نساء في الإسلام

* * *

فاطمة بنت الخطاب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نجلاء شوقي حسن

فاطمة بنت الخطّاب

هي فاطمة بنت الخطّاب بن نفيل ، أحد
كبار وأشراف بني مخزوم في قريش .
نشأت فاطمة بين أهلها وعشيرتها ، وتحلّت
بالفضائل العربيّة ، إلى جانب القوّة في
تكوين شخصيّتها .

بلغت فاطمة واكتمل شبابها ، خطبها
قريب لها اسمهُ سَعِيدُ بن زَيْدِ بن عمرو ، ومن
ثمّ اقترنَ بها واتّخذا لهما بيتاً في قريش ،
وكانت في حياتها سعيدة هانئة .

ذاتَ يَوْمِ التَّقَى سَعِيدٌ بِصَدِيقِهِ خَبَّابِ بْنِ
 الْأَرْتِّ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا صِدَاقَةٌ وَثِيقَةٌ حَمِيمَةٌ .
 وَكَانَ خَبَّابٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْمُبَشِّرِينَ
 بِالْجَنَّةِ ، الَّذِينَ حَمَلُوا الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ ، وَمِنَ
 الَّذِينَ وَكَّلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمْرَ الْإِسْلَامِ ، بَعْدَ أَنْ فَقَهُوهُ
 وَانْطَبَعُوا بِهِ فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ .

أَخْبَرَ خَبَّابٌ صَدِيقَهُ سَعِيدًا بِإِسْلَامِهِ ،
 وَحَدَّثَهُ عَنِ الدِّينِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ
 فَأَقْنَعَهُ .

وَذَهَبَ سَعِيدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْلَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : أَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ .

فَلَمَّا عَادَ سَعِيدٌ إِلَى الْبَيْتِ ، أَخْبَرَ زَوْجَتَهُ بِمَا
جَرَى وَمَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَأَخْبَرَهَا فِي سُرُورٍ عَنْ
لِقَائِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ، وَمَا شَعَرَ بِهِ سَعِيدٌ فِي هَذَا
الْلِّقَاءِ ، فَقَالَتْ لَهُ فَاطِمَةُ فِي شَوْقٍ : وَإِلَى
مَاذَا يَدْعُو دِينَ مُحَمَّدٌ ؟

فَأَخَذَ يَشْرَحُ لَهَا بَعْضَ مَا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي جَاءَ
بُنُورِ الْحَقِّ لِيُبَدِّدَ ظِلَامَ الْجَاهِلِيَّةِ .

كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ تَسْمَعُ زَوْجَهَا
سَعِيدًا ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَهَا بِالْمَزِيدِ فِي

شَوْقٌ ، وَهِيَ تُصْغِي إِلَيْهِ بِكُلِّ جَوَارِحِهَا ،
وَتَفَكِّرُ بِعَقْلِهَا فِي كُلِّ مَا يُقَالُ .

أَرَادَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ أَنْ تَرَى رَسُولَ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَطَلَبَتْ مِنْ
زَوْجِهَا سَعِيدٍ أَنْ يَأْخُذَهَا إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا
سَعِيدٌ .. وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَسْلَمَتْ فَاطِمَةُ ،
وَشَهِدَتْ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَدَخَلَ نَوْرُ الْحَقِّ
قَلْبَهَا .

وَكَانَ مِنْ يُسْلِمُ مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ ، وَيَتَّبِعُ دِينَ مُحَمَّدٍ ، يَحْرِصُ عَلَى الْإِ
يَشِيعَ خَيْرُ إِسْلَامِهِ ، خَوْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

وَبَطْشِهِمْ ، وَكَانَ بَيْنَ الْمَشْرِكِينَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ ، شَقِيقُ فَاطِمَةَ ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِقُوَّتِهِ
وَبَطْشِهِ ، وَسُرْعَةِ غَضَبِهِ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، رَأَى عُمَرُ أَنَّ لَا بُدَّ مِنْ حَسْمِ
الْأَمْرِ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فَإِنَّهُ لَمْ تُجَدِ الْاجْتِمَاعَاتُ وَلَا الْمَشُورَاتُ فِي
بُطُونِ قُرَيْشٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، فَرَأَى حَتَمِيَّةَ
الْحَلِّ الْعَمَلِيِّ . وَضَرُورَةَ حَسْمِ الْمَوْقِفِ
تَقْتَضِي الْقَتْلَ وَلَا شَيْءَ غَيْرَهُ ، فَخَرَجَ عُمَرُ
مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِهِ ، يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، ذَكَرَ
لَهُ أَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا بِدَارِ الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصُّفَا .

وفيما هو في طريقه ، لقيه نعيم بن عبد الله فسأله :

- أين تريد يا عمر ، وأراك غاضباً ثائراً ؟
قال عمر : أريدُ مُحَمَّدًا هذا الصَّابِئَ الَّذِي
فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا ، وَعَابَ
دِينَهَا وَسَبَّ آلِهَا .. فَأَقْتُلْهُ .

قال نعيم : واللَّهِ قَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ
نَفْسِكَ يَا عُمَرُ .. أَتَرَى بَنِي هَاشِمٍ تَارِكِيكَ
تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا ؟ أَفَلَا
تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ ؟

قال عمرُ في دهشة : وأىُّ أَهْلِ بَيْتِي ؟
قال نعيم : ابْنُ عَمِّكَ زَوْجُ أُخْتِكَ سَعِيدُ ،

وفاطمة أُختك ، فقد والله أسلما وتابعا
 مُحَمَّدًا على دينه .. فعليك بهما .
 قال عمر : أَوْقَدْ فعلا ذلك ؟ لئن فعلا
 لأَقْتُلَنَّهُمَا .

ثم مضى مُسرِعًا نحو بَيْتِ أُخْتِهِ فاطمة ،
 وقبل أن يَطْرُقَ بابَ البيت ، سَمِعَ أصواتًا
 تُرَدِّدُ كَلِمَاتٍ يَسْمَعُهَا من قبل .
 كان خَبَابُ بنُ الأَرْتِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -
 في ذَلِكَ الْوَقْتِ عِنْدَ سَعِيدٍ وَفَاطِمَةَ ، وَمَعَهُ
 صَحِيفَةٌ يُقْرَأُ فِيهَا سُورَةُ « طه » .
 طَرَقَ عَمْرُ الْبَابِ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى أُخْتِهِ .
 فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَ عُمَرَ ، اخْتَفَى الْخَبَابُ فِي

مَخْدَعٍ لَهُمْ ، وَأَخْفَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ مِنْ
فَوْرِهَا ، ثُمَّ أَسْرَعَتْ تَفْتَحُ بَابَ الْبَيْتِ
لِأَخِيهَا .

فَلَمَّا دَخَلَ عُمَرُ عَلَى أُخْتِهِ وَزَوْجِهَا سَعِيدٍ ،
سَأَلَهُمَا عَنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَتَّبِعْنَهَا
جَيِّدًا ..

فَقَالَا لَهُ : مَا سَمِعْنَا شَيْئًا ..

قَالَ عُمَرُ : إِنَّكُمَا تَكْذِبَانِ ، فَقَدْ أُخْبِرْتُ
أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا فِي دِينِهِ .

وَهَجَمَ عُمَرُ عَلَى صِهْرِهِ سَعِيدٍ وَصَفَعَهُ
وَأَلْقَاهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَجُرِحَ وَجَرَتْ دِمَاؤُهُ .
فَقَامَتْ فَاطِمَةُ لِتُدَافِعَ عَنْ زَوْجِهَا ، وَتَقِفَ

حائلا بينه وبين عُمر الغاضب تمنعه ،
 فضربها وجرت دماؤها هي الأخرى .
 قال له في تحدُّ وقوَّة : نعم لقد أسلمنا
 وآمنا بالله وبمحمدٍ رسوله ، فاصنع ما بدا
 لك .

وقف عُمر حائرا وهو يرى منظر الدماء
 تسيل من فاطمة وسعيد ، وصمودهما
 أمامه ، واعترافهما دون خوفٍ أو خشيةٍ
 باتباعهما دين محمد . أثر هذا الموقف في
 عُمر ، وندم لتسرُّعه ، فقال لأخته فاطمة :
 أعطيني هذه الصحيفة التي تقرأون ، أنظر

ما هذا الذي جاء به مُحَمَّد .

قالتْ فاطِمة : إِنَّا نَخْشَى عَلَيْهَا مِنْكَ أَنْ
تُمزِّقَهَا .

قالَ عُمر : لا تَخَافِي يا فاطِمة .

ووعدها أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيْهَا .

قالتْ له : وَلَكِنْ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَمْسُهُ
إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ .

فقامَ عُمرُ فاغْتَسَلَ بِالماءِ ، فَأَعْطَتْهُ فاطِمةُ
الصَّحِيفَةَ فَقَرَأَهَا .

قرأَ عُمرُ الْقُرْآنَ وَتَمَعَّنَ فِي كَلِمَاتِهِ جَيِّداً ،
ثُمَّ قالَ : ما أَجْمَلَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ . إِنَّهُ
كَلَامٌ لَا يَأْتِي مِنْ بَشَرٍ .

فعندما سَمِعَهُ خَبَاب ، خرجَ من مَخْبِئِهِ
الَّذِي تَوَارَى فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ : يَا عُمَرُ :
إِنِّي لِأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَصَّكَ
بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ :
اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، أَوْ
بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . فَاللَّهُ اللَّهُ يَا عُمَرُ .
قَالَ عُمَرُ : دُلَّنِي يَا خَبَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ ،
حَتَّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ .

وَصَدَّقَ عُمَرُ وَأُسْلِمَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ إِسْلَامُهُ كَمَا
قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فَتَحًا .

والحديثُ يطولُ عن إسلامِ عُمر - رضى
 اللهُ عنه - ولكن لا ننسى دورَ فاطمة بنتِ
 الخطّاب - رضى الله عنها - وموقفها
 الإيمانى القويّ ، وتصديّها لأخيها عُمر بنِ
 الخطّاب ، الذى كان له الأثرُ الأوّل ،
 فتلاشى جبروته وكبرياؤه ، واهتزّت ثقته
 بمعتقداته ، أمامَ صلابَةِ موقفِها وإيمانِها
 وإسلامها .

وكانت فاطمةُ من المؤمناتِ المُسلِماتِ
 الأوائل - رضى الله عنها ، وتحملتْ هي
 وزوجها قسوةَ العيشِ والمعاناة التى أصابتِ
 المُسلمين ، من كفّارِ قُريش ، وهاجرتْ مع

المهاجرين إلى الحبشة ، ثم عادت وزوجها إلى
المدينة ، وكانت في استقبال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - مع المهاجرين
والأنصار ، عند قدومه إلى المدينة .

وكانت فاطمة بنت الخطاب - رضي الله
عنها - تحضر مجالس العلم والفقه ، وتستمع
إلى أحاديث رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فروت بعض الحديث عن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت
الزوجة المؤمنة الصابرة ، حين استشهد
زوجها سعيد بن زيد في سبيل الله ، في
إحدى معارك المسلمين .

(١٦)

وعاشتْ حياتَها عابِدةً شاكِرةً ، ناصِحةً
ساعِيةً للخير - رَضِيَ اللهُ عَنْها - .